الحب والحرية في قافلة العطش

بقلم: وهيب نديم وهبة/ فلسطين

سناء كتلة ملتهبة من بركان الكتابة ، حين تشعل الرمز في حقول النار .. تحرق غابات الجمود وتحرك السكون / العاطفة / العشق / الحب توأم الروح / تكسر قيد الصمت ؛ ومن حالة الركود يبدأ الصعود(من قاع البئر-1-) بالإحساس/ بالعشق / واتحاد روحين في جسد واحد .

تلك العتمة - البئر - هذا القلب الذي يحتوي على خصائص الإحساس - يعتم - دون حب . ووحشة المكان - الدنيا - حين يكون الافتراس فيها علنياً ومشهود ومسكوت عنهُ .. الكاتبة تقاوم الوحشة - العتمة - وتعيد في جسد واحد - الروحين .

بئر الأرواح -2- الصراع الأزلي بين الجسد والروح /الموت والولادة / هذا الانفجار العميق من بئر الحرمان / العطش / الجوع إلى عناق الأخر / الاتحاد الإنساني في العطاء تحت غطاء الحياة .

د. سناء تفجر ينابيع المعرفة على امتداد مساحة الحياة / أنها تستغل المفردة في اللغة لكي تدخلها في صيغة الجمع " الأنا " هنا .. نحنُ .. ونحنُ في هذا الزمن في رؤية الكاتبة - تسير بنا القافلة / الحياة - العطش / نحنُ / من هنا ندرك العمق الثقافي عند الكاتبة ، في سير خطى ما زالت ترنو إلى الشمس ولم تبصر بعد الحقيقة .

أن جوهر الكتابة / المكاشفة / مكاشفة الذات / تعرية الواقع / محاصرة المستقبل .. (قطار منتصف الليل-3-) فحين تدنو إيقاعات القطار السريعة تعزف على وتر العمر في الجريان ووتر العشق الذي يكاد يهرب منكَ أو تأخذه عنوة أو بشفافية كي لا يغادر المكان . أن هذا التزمن بين قطار العمر وقطار العشق حقاً كان رائعاً .

أن محاصرة المستقبل في هذا الزمن الرديء يحتاج إلى دراسة مكثفة وفكرة واضحة فحين اعتلت الكاتبة صهوة الزمن عرفت أن

المكان - خصوصية المكان - تحدد قضية الغد - ألمستقبل .
الدكتورة سناء ترتكز في قافلة العطش - حول قضايا دائرية محورية - تـدور فـي فلـك الـذات الإنسـانية - القافلـة - السـفر - العطـش - الحرمـان - قضـايا الإنسـان - الحـب - الحريـة - الـروح - الجسـد - وتسـتمر تلـك اللعبـة الدائريـة فـي الكتابـة عنـد الكاتبـة حيـن تكتـب (الجسد -4 -) تستبدل الأدوار - بنطال يبحث عن جسد عـن روح ، عن عشق يحتويه . فكرة الاستبدال هنا ، تدل على روعـة فـي تمثيل المشـهد . أن قضـية البحـث عن الأخـر قضـية جوهريـة فـي الوجـود الإنساني وقد يمر العمر وأنت تبحث أو تكتفي بما يأتي (قرر أن يطفئ بعضاً من أشواقه فقط -5-) بالتحديد - فقط - هذا الحلم في البحـث ، ربمـا الحـظ ، ربمـا الصـدفة ، ربمـا المعرفـة - آلاف الاحتمالات ولكن ربما هذا لا يأتي .. من هنا أهمية نسيج العاطفة وقماش العشق وبدله الكون الحياة .
هذا الشوق - الحنين - في رحلة الكاتبة في قافلة العطش ، يجعل القارئ المتمهل أن يتأمل الحياة - نافذة واسعة جداً للتفكير - هكذا يفتح الكتاب الحوار معكَ .. سناء تخاطب العقل عن طريق العاطفة ، مهمة خطيرة أن أشعر وأن أفكر لماذا حدث هذا . تلك المعادلة الصعبة في تركيب العبارة وفي حث القارئ على التفكير .
أن المفارقة العنيفة والمقاربة المحببة بين (زاجر المطر- 6-) وبين (تحقيق صحفي - 7 -) النهايات . تطرح النهايات نفس الرمز.. ولكن في اتجاه معاكس ، في حين الرمز الأول يتحقق في الموت .. الرمز الثاني في الحياة ، الالتصاق بقضية الحب كقضية بقاء .
أن سكين الكتابة ما بين الجرح والرمز عند الكاتبة سناء شعلان أجراء عملية جراحية / استخراج العاطفة من قلب هذا الكائن البشري دون دماء - ومع هذا تبرز قصة العاشقة - 8-) مع الكثير من الذكريات والألم على ارتكاز أننا لا نبصر حقاً من هم أمامنا .. هنالك لحظة تهرب منا . لهذا كان نداء الحلم في القصة عالي الصراخ ، ربما ليس لدينا وقت للحلم . ربما لا نملك المقدرة على الحلم / الأمل / الحب / الحياة . هذه العملية تجري تفاصلها يومياً ، والمخيف حتى حين يأتي الحلم يأتي ليس كما نشتهي .
الآن أجمع شظايا البلور وجرح الكتابة في(قصة النافذة العاشقة -

9-) هذا التصور الشعري يخفى حنيناً موجعاً في زمن الانتظار. هذه المحطة الراكدة في قلب الإنسان لا تعرف متى تبدأ السفر / سفر العشق الحقيقي . حين تهرب منه يخترق العشق جدار الصمت ، وبلاغة التصوير أن النافذة أصبحت عاشقة / لماذا لا تكون نافذة للحياة ؟

أن روعة (قصة الفزاعة -10-) تدخلكَ مباشرة بعد القراءة إلى حالة من الصمت . هذا التراكم الكمي من الإحساس يسيل بمذاق طعم الخيبة . لهذا كان العنوان - الفزاعة - كي تهجر الطيور الحقل . هل حقاً قصدت أننا أحياناً نتصرف برغم الحب تصرفات فيها - الفزاعة - لهذا يهجرنا الغير .. كما قلتُ هذه المجموعة تحمل الرمز العادي والرمز العميق كما تحمل الأم طفلها بدلال وغنج وأحياناً يرفعك الرمز إلى قمة الخيال والتصور وتتحد بهذه الكتلة المشتعلة بلهيب النار .

أن قصة (قلب لكل الأجساد - 11 -) رسالة عميقة واضحة لعدم السقوط في الخطيئة .. حيث تجمع في بوتقة واحدة الحب الضائع والخطيئة .. أن السقوط هنا يحول المرأة إلى زانية إلى جسد بلا إحساس ووجود بلا هدف .

أعود إلى القصة الأولى (قافلة العطش - 12-) ما بين السفر والحرمان تتمحور القصة وبين الشرف والحب ولكي ترتدي القصة ثياب الحضارة ويقبل العقل والقلب هذا الموضوع ترتكز الكاتبة على حكمة قديمة .. تحملنا .. تأخذنا معها عبر التاريخ . هي فكرة رائعة أن تقول لنا الكاتبة أننا منذُ فجر التاريخ نكبل الحب نمنع عنهُ الهواء وفضاء الحرية . هذا العطش الممتد من الصحراء العربية إلى عالمنا الحضاري يسكب في بوتقة حياتنا اليومية / الحرمان .. أننا حين نقتل في داخلنا المرأة تقتل الحياة .. أن العودة إلى واد البنات تعبير صادق على عدم حرية المرأة في الزمن الراهن .. تدور أحداث القصة في الزمن الغابر كي تنسكب في مستنقع الحاضر دون أن تقول الكاتبة .

قلتُ أن الرمز أجمل ما في هذه المجموعة القصصية . كذلك لغة الشعر.. أن المجموعة زاخرة مفعمة مترعة بشفافية اللغة التي تنم عن روعة في الإحساس والمشاعر .

كلمة أخيرة
كل قصة لم يندس فيها قلمي كانت لضيق المجال . ليكن مبارك ما كتبت يداكِ .

إشارات :
1- قصة بئر الأرواح ص 86 - والجملة -ثم فاض جسدها سعادة بالروح الجديدة ، وامتزجت الروحان ، كانت مساحة الفرح كبيرة ، ولكن جسداً عاشقاً يكفيها ، يكفيها تماماً ، لفحها برد الصباح ، الشمس داعبت هدبيها ، وعادت أدراجها شبه عارية من ملابسها ، تحمل روحين عاشقين كلتيهما قد قهرتا جبروت البئر الغاشمة .
2- نفس المصدر قصة بئر الأرواح
3- قصة - قطار منتصف الليل - ص - 54 -
4- قصة الجسد - ص - 120 -
5- نفس المصدر -ص- 122 - و (بل غاية أمنياته الحصول على جسد يخلو من الدنس ، لم يعرض في الأسواق ، لم تبتذله الأيدي ، ولم تشبع منه النظرات ، جسد يخلص ويخلص ... ، ويطوقه إلى الأبد بعيدا عن سوق الأجساد - ص 125 -)
6- قصة زاجر المطر ص - 119 - كان على شفتيه ابتسامة غريبة ، لم يعن أحد المشيعين نفسه في فك سرها ؛ فلا أحد يبالي بابتسامة زاجر مطر مسكين !
7- قصة تحقيق صحفي - ص- 72-73- بعد أن ذكرت الصحف اليومية أنها ضاعت في الصحراء ، ولم يعن أحد نفسه ليبحث عن امرأة عاشقة قد اختفت في الصحراء في مهمة صحفية .
8- قصة قطته العاشقة ص- 94 - عشقت آلاف المرات ولكنني خبأت العشق لها حتى تأتي . " - وهل أتت " - نعم ، أتت ، ولكن على غير ما اشتهي . وفي نفس القصة - ص - 102 - أنت معذور. لكن صدقني نحن نقابلهم مرة واحدة في الحياة . - من هم ؟ - الذين يملكون أن ينيروا حياتنا سعادة ..
9= قصة النافذة العاشقة - ص- 15-

10- قصة الفزاعة - ص- 25- لكن ما لم يستطع أن يفهمه هو التغير الذي حدث بعد ذلك ، فقد تعالى صراخهما ، وبدا أن ناراً تشتعل بينهما ، ثم غادر المكان غاضباً .
11- قصة قلب لكل الأجساد - ص - 74 - وفي نفس المصدر ص- 78 - لأنها تعلم منذ الليلة شبح لا جسد له ، قلب يصلح لكل الأجساد .
12- قصة (قافلة العطش ص 9-) العطش إلى الحب أورث الصحراء طقساً قاسياً من طقوسها الدامية ، أورثها طقس واد البنات ، البعض قال انهم يئدون بناتهم خوفاً من العار ، البعض الآخر قال انهم يفعلون ذلك خوفاً من الفقر ، لكن الرمال كانت تعرف أنها مجبرة على ابتلاع ضحاياها الناعمة خوفاً من أن ترتوي يوماً .

قافلة العطش :

قصة للدكتورة سناء كامل شعلان صدرت عام 2006 عن مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع - مجموعة قصص قصيرة – ط 1